هاجس تشكيلي يتحرك برؤية جمالية:

عبد المحسن خانجي يتابع رحلته الصوفية من المولوية إلى المرأة

دمشق ـ «القدس العربي»

من أنور بدر:

في عام 2003 أقام عبد المحسن خانجي أول معرض له في دمشق، بعدما عرض في مدينه حلب، وفي صالة (روشان) بجدة، وفي (المجمع الثقافي) في أبو ظبي، وفي الدوحة ودبي وطرابلس لبنان، حتى بات معروفاً في محيطه العربي أكثر مما هو معروف في سورية، لكن معرضه الأول في دمشق فاجأ متابعي الحركة التشكيلية حيث ذهب بعيداً في رصد الحالة الصوفية لرقصة أو لراقص المولوية، فاجأنا بواقعيته التعبيرية التي رصدت العلاقة بين الرقص والموسيقى، من خلال العلاقة بين الراقص في حركته وبين الآلات الموسيقية، وما بين ألوان الثوب ومساحته المفروشة بالظلال المتحركة وكأنها «انتقال من السكون إلى الحركة عبر ما يسمى بالشطح الصوفي، ثم من الحركة إلى التصعيد عبر ما يسمى بالتجلي الصوفي». كما كتبنا عن ذلك المعرض لصحيفة «القدس العربي» في ذلك الحين.

الآن بعد ما يقارب الثلاث سنوات، يعود الخانجي إلى دمشق بمعرض جديد عن المرأة، معرض يدفع به كموضوع إلى مزيد من الواقعية، لكننا نكتشف أنه الفنان الذي ذهب بعيداً وعميقاً في صوفيته التي شكلت زاوية للتعاطي مع المرأة كقضية أو هم، أو كمشاعر وأحلام، قد وصل إلى مزيد من التعبيرية مع تداخلات رمزية موظفة بقوة دلالية ولونية معاً.

«القدس العربي» زارت معرض عبد المحسن خانجي الأخير في صالة «شورى» وأجرت الحوار التالي مع الفنان:

■ هل استنفد الخانجي موضوع المولوية الذي اشتغل عليه سابقاً؟

■ نعم، فأنا اشتغلت على ذلك الموضوع لمدة عشر سنوات تقريباً، حتى وصلت إلى مرحلة الإشباع في علاقتي به، أو أنني استنفدت قدرتي على التجريب فيه، وقد جاء معرضي السابق في دمشق تتويجاً لتلك التجربة التي عرضتها في حلب وفي معارض عربية أخرى.

■ بعد أن كان راقص المولوية يشكل كل المساحات في لوحاتك، نشاهد الآن حضوراً مطلقاً للمرأة في هذا المعرض؟

■ صحيح، فالمرأة إذا لم تكن نصف المجتمع فهي بلا شك ثلاثة أرباعه، فهي كل شيء في عالمنا، وعليها يعتمد بناء الأجيال القادمة، ولكنني لم أشأ تناولها بالمعنى التقليدي، مجرد مادة أو موديل في اللوحة، بل كانت هماً وهاجساً، وكانت رؤية وحلماً، وهذا سيدفعني للبوح بأن بداية تجربتي في هذا الموضوع كانت منذ سنوات، وأنا أشتغل على المولوية، كانت مجرد فكرة تراودني، وتملأ مساحات ما بين الشعور واللاوعي، المرأة الأم، المرأة الحبيبة، المرأة الأخت، المرأة بشكل كامل، والفنان قبل سواه هو الأقدر على الإحساس بمعاناة المرأة وفي كل حالاتها، معاناة من المجتمع ومن التقاليد والعادات الاجتماعية المفروضة عليها، فكنت أحس بها مقيدة ومخنوقة، وكنت أدرك توقها لأخذ الحرية، دون أن تعرف كيف ستنالها.

وبالتالي حاولت في هذا المعرض أن أضع يدي على المشكلة، وهي مشكلة تمتد من وجود المرأة إلى الأطر التي تكبلها والتقاليد التي تصادر حريتها، وصولاً إلى ثقافتنا التي تضع إطاراً لوجودها وقيداً على حركتها، والفنان يطرح قضايا ويثير أسئلة، ويترك للمجتمع والآخرين تقديم الحلول.

■ هل يفسر ذلك طغيان اللون البني في ألوان هذه اللوحات؟

■ اللون البني بطبيعته لون حزين، والحزن جزء من تركيبة الإنسان، ليس في الشرق وحده بل في الشمال والجنوب وحتى الغرب، فلو حسبنا من خلال 24 ساعة يومياً في حياة المرء، كم نجد ساعة من الفرح متاحة له؟ وخاصة في منطقتنا، إذ مرت حروب كثيرة ناهيك عن الغزوات من التتار إلى المغول، ومن العثمانيين إلى الاستعمارين الفرنسي والإنكليزي وحتى الغزو الأمريكي الحديث، وفي هذا المشهد يكون الحزن سمة من سمات الشعوب، فكيف والمرأة تتعرض لاضطهادين من خارج المجتمع ومن داخله؟

من هنا فرض اللون البني نفسه في خلفية اللوحات وفي عناصرها التكوينية كلون للحزن، وحتى عندما يتجاور مع الأزرق أو البنفسجي فإنك تجد كل الألوان معبرة عن هذا الحزن الدفين.

■ لكننا نجد في أعمالك الأخيرة عنصرا تزيينيا مقحما على اللوحة؟

■ أنا لا اعتبره عنصراً تزيينياً، بل هو دلالة رمزية، فإذا أنت دققت النظر ستجد استعمالات أو توظيفا للطوطم أو التيمة، كالهلال المعقوف أو الصليب أو الخرزة الزرقاء... أو أي شيء يعبر عن التيمة المستنبطة من الحس الديني.

لقد ركزت عليها، وأبرزتها بشكل واضح، وربما يكون بشكل فاقع، بالنسبة لتجاور ألوان التيمة مع ألوان اللوحة، أما بالنسبة للأسلوبية الواقعية في رسم هذه التيمة بالقياس إلى التعبيرية الطاغية في مساحة اللوحة، حيث شكلت نوعاً من «التناقض»، ولقد وضعتها بتأكيدية واقعية أقرب إلى الكلاسيكية التقليدية، ليكون حضورها أبلغ، ولتدفع بالمشاهد للتساؤل عن سبب وجودها في هذه اللوحة.

وليس بعيداً عن ثقافة هذا المشاهد إدراك الصلة الوظيفية لهذه التيمة في مجتمعنا، فهي لمنع الحسد، أو للحماية من القوى الخارقة، أو للحفاظ على الطهارة والنقاء. وأحياناً تكون للرزق وأخرى ضد الإصابة بالعين، وثالثة لمنع وقوع الشر، ولكن بالنسبة للمرأة فهي غالباً ما تعلق في جيدها لتحد من تصرفاتها، أو لتعطيها أماناً أكثر، وهنا أردت في توظيف التمائم ضمن لوحاتي المعنى الأول، الحد من حرية تصرفات المرأة، ضمن نظام أو قانون موجود في الأساس، والمرأة خاضعة له.

نساء الخانجي والعلاقة مع الثياب

عناصر تراثية تقيد المرأة

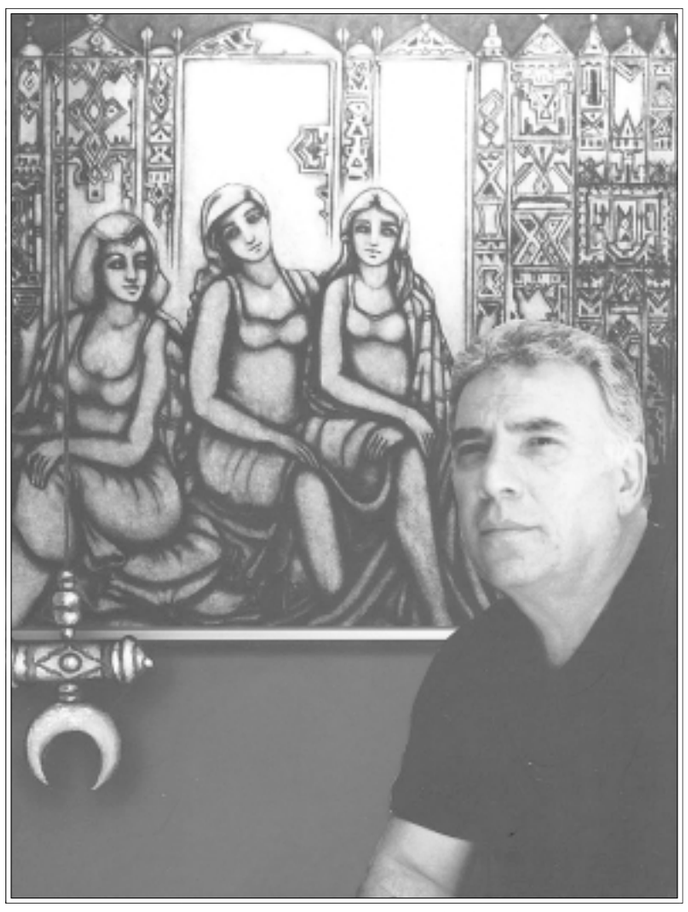

عبد المحسن خانجي مع إحدى لوحاته

فأنا أقصد بالتيمة النظام الذي يقيد المرأة، ويحد من تصرفاتها، فتحس المرأة، بشكل خفي بالحضور القوي لهذه التيمة من خلال التربية في الأسرة أو المجتمع، ومن خلال السلطة البطريركية للأب أو الأخ، التي تعبر في النهاية عن سلطة وسطوة المجتمع بآنٍ واحد.

ولكن يمكن أن تلاحظ أن هذه التيمة تكاد تكون معلقة على جسد اللوحة، من خارج عناصرها التكوينية، فالمرأة تنتمي وتشكل عناصر هذه اللوحة، بينما التيمة تنتمي للمجتمع أو الخارج الذي يقمع هذه المرأة. لذلك أقول بأنني استخدمتها كغرض رمزي أكثر منه غرضاً تزيينياً.

■ في معرض المولوية كان الشغل على الحركة والسكون من خلال الثوب، وحتى هنا نلاحظ ان الثوب أو الوشاح غالباً مشغول بحركية تعاكس سكون الجسد الأنثوي وتناقضه؟

■ لأن الثوب يشكل مواضعة اجتماعية، فالمجتمع يفرضه على الإنسان وعلى المرأة، بشكل خاص، فلا يمكن لأي إنسان مثلاً، أن يخرج عارياً في الشارع أو المجتمع، فاللباس إذاً كمواضعة اجتماعية يحد ويقيد من حرية الجسد ومن حرية الإنسان. في بعض الحالات نجد أن شخصية الإنسان تسطو على مظهره ومجتمعه وتؤكد هويته فيهما، بينما في أحيان أخرى، وهي الغالبة، نجد أن المجتمع هو الذي يسطو على الفرد ويخنق شخصيته، واللباس هنا أو الوشاح أو الثوب هو رمز لهذا المجتمع الذي يقيد حركة المرأة وانطلاقتها، لذلك نجد أن هذه العناصر تتضمن دلالة رمزية أيضاً. ومن هنا يمكن قراءة الحركة في الثوب أو الوشاح من خلال دينامية المجتمع الذي تنتمي إليه، بينما المرأة في داخل هذا الثوب أو الوشاح مقيدة بلا حراك.

■ يلاحظ في هذا المعرض نزوع أكثر نحو التعبيرية، مع توظيف لعناصر رمزية في اللوحة؟

■ عندما بدأت الشغل على موضوع المولوية كانت تسيطر عليّ النزعة الواقعية البحتة، من خلال مشاهداتي ومتابعتي لطقوس ورقصات المولوية، مع ميل إلى الواقعية التعبيرية بشكل ما. لكن في هذا المعرض، حدث أن تراجعت تلك النزعة الواقعية لصالح ميول أكثر تعبيرية. وعموماً أنا لا انتمي لأي مدرسة تشكيلية، ولا أرغب بهذا الانتماء، لاعتقادي بأن أي موضوع سيفرض أسلوبه على الفنان، ولو حاولت التمعن في عناصر تكوين لوحات هذا المعرض سوف تكتشف وجود عناصر رمزية، وأخرى تنتمي للكلاسيكية، وبشكل خاص في تتبع العناصر الزخرفية في خلفية بعض الأعمال، واعتقد أن هذا يمنح اللوحة غنىً وحرية أكثر.

■ هناك جانب لم نطلع عليه بعد في تجربة الفنان عبد المحسن خانجي، يتعلق بالشغل على النحاس؟

■ سبق وأقمت معارض كثيرة خارج سورية، وحتى في مدينة حلب، وكانت أغلب أعمال الحفر على النحاس تلاقي صدى ايجابياً، وآخر مشاركاتي في هذا المجال كانت في مدينة طرابلس في شمال لبنان عام 2003 ضمن مشروع «بوزار»، إذ شاركت بعمل ضخم نسبياً، ويتألف من ثلاث مراحل، يخترقها السيف العربي.

ففي المرحلة الأولى رمزية إلى الماضي العربي وحتى مرحلة الانحطاط، بينما في الجزء الثاني رمزية إلى الحاضر العربي المعبر عنه بالإنسان المسحوق بقوى الاستبداد والغطرسة في هذا الواقع، فكان السيف مكسوراً في هذا الجزء، ويبقى الأمل في المستقبل عبر الشمس التي تضيء امرأة تحمل باقة من الزهور في الجزء الثالث.

عموما أنا أفكر جدياً الآن بإقامة معرض لبعض أعمالي النحاسية في دمشق.

تداعيات

لا يحدث شيء

سعيد بوكرامي*

■ تحت الوسادة رسالتها المخضبة بالرغبة والتعب.

فوق الفراش كتب مكدسة.

مسافات وحافات يبدد قسوتها حنين جارف إلى أصابعها وقهوتها المقطرة بعناية وضجرها من الحر أو البرد الزائدين.

أتدفأ بالغطاء وبين يدي رسالتها.

لا يحدث شيء في اتجاه سرعة الألوان القانية، ضرب على هوامش الأشياء، نوم على أرق الستائر. لا يحدث شيء حول مصباح الزقاق. حتى الحشرات المصاصة للدماء عافت أجسادنا ورحلت.

لا يحدث شيء مع الصمت المتحجر كآلهة متواطئة على الحياد. في مطلق الضعة يفسد كل شيء. ماذا لو كانت بجانبي الآن أو كنت بجانبها هناك ؟

أخذت الكلاب المسعورة تنبح في الأزقة القفراء. الليليات في البلوك الآن أغلقن أبوابهن بإحكام وخلدن للنوم المتبل بالسجائر والعرق والحليب الفاتر المتدفق في أحشائهن. سيزددن ترهلا ويتهاوين الواحدة تلو الأخرى وكأنهن قد تعبن حقا من فلسفة الأمام والوراء وخير الأمور أوسطها. في ذلك البلوك الطيني الصغير والحقير تحتمي تلك النسوة الهاربات من كل فج معوز قد يتوقفن هنا أو يتركن أنفسهن لتسحبها الرياح إلى حفرة زاكورة التي تستقبلهن عادة بحفاوة الذباب وشظايا قنينات الجنود الفارين من الثكنات المنتقمين من الذل والليل والضياع.

حبيبتي ف

تركتك وكأني تركت نفسي هناك.

وصلت فجرا. عبء الحقائب هد جسدي. دخلت البيت فوجدته خانقا برائحة السكون والإهمال. مع ذلك تركت نفسي تنام قليلا. صحوت على الساعة التاسعة والنصف. نظفت السطح والغرفتين عثرت على صراصير وعنكبوت وآثار فأر. أراك الآن قد تقززت وأنت التي يسكت قلبها إذا ما سمعت اسمه. لا عليك سأقبض عليه في أقرب فرصة.

اشتقت إليك كثيرا وتمنيت لو كنت بجانبي.

توقفت قليلا عن الكتابة كي أعيد شريط ماجدة الرومي التي تحبين أغانيها. بالأمس تمكنت من التقاط بعض الإذاعات الأجنبية للتسلية فقط، فماذا سيقولون؟ كل الأخبار متشابهة ومتناسخة.

نعش يمر
في منتصف النهار
العصافير يغمى عليها
الإسفلت يذوب
الجثة تبرد
رغم الحر
يلفونها بالأثواب
كأنها ستصاب
بالزكام.

لا أحب صوت الإذاعة المغربية
الذي يطفئ فانوس الأحلام
ويتعمد إخفاء الحرية
في غرف العقاب.

حاول أن تخلص من الظلال
من رقدة الغبار
بين ذلك الحفيف
تعشش الصدفة
قد لا يمنحك الصبّا
خلود الانتظار
لكنك قد تتحجر
أيقونة للعشاق.

* كاتب من المغرب

صَيّاد النرجس

مروان مخّول*

قالَ لي مَن حاوَلَ أن
يُعلّمَني درساً منَ الطغيان:
رَدّدْ أيّها التلميذُ ما يأتيكَ واضحاً:
دالٌ وألفٌ:دا، وراءٌ: دارْ.
كرّرتُ، لا لطاعتِه
بلْ لأرى داري بَعَدما مرَّ الزّمانُ
على جَناحِ مَسافةٍ وقد
فرّقتنا.

أكْمَلَ:
«دالٌ وَواوٌ:دو، وراءٌ: دورْ»

قلتُ:
«دورٌ» كَيْ نعودَ إليها سالمين،
وكيْ أراني هُنا لَستُ وَحْدي، فالغربةُ
مَنْ دَعَتني لشهوَتِها كَيْ تكون، ومَنْ
أكونُ إن لَبّيْتُ دَعْوَتَها ورُحتُ وَحْدي ؟؟

قالَ:
دوريٌ وتَجْهَلُ نفسكْ

قلتُ:
رُبّما،
وربّما حلّقتُ فَوقَ عُشّي
كيْ أهْبِطَ في الطّمأنينةِ واقفاً،
أو لأوَضّحَ لكَ الرؤيا، فَهَذا
مَنْ أظلنني كنتهُ، وقَدْ اجتسَسْتُ
نبْضَ القلبِ لأكتشفَ الحيَاةَ
تسكُنُ بي.

عادَ حامِلاً لي ما يُريدُ
منَ الرّحيلِ وقالْ:
على الخزْيِ والعارِ إحملْ
مَنفاكَ وارْحَلْ، الى حيثُ
لا أراكْ.

قلتُ:
لي غدٌ سلّمَ لي رُتبةَ الجُنديِّ، لأنّي
حمَلتُ سلاحي مِنْ جِراحي التي نزَفَ
العُنفوانُ فيها،
هُوَ جُرْحي الذي انتظرتهُ، لأكبرَ
في شكله الدّمَويِّ: ناراً
مِنْ رمادٍ ضامرٍ
لمن يستهينُ بي.

قالَ:
قدْ جَنَيْتَ عَلَى نفسكَ،
وَوَرَدْتَ المَخاطِرَ شارِباً مِن ينابيعَ
جفّتْ مُنْذُ ماتَ المَاءُ، فماذا
دهاكْ؟؟

قلتُ:
كانَ الخيَالُ بي واقعياً،
فلَمْ آتِ إلى حقلِ زَرَعْتَهُ
المَوتَ لي بالمَوتِ، خَاصّةً
وإن أدْرَكتُ أنّ الصّدى
راعِي المكانْ!.

قالَ:
ما اسمُكْ؟

قلتُ: لا أعْرِفْ

- مَن كُنتَ في المَاضي إذاً؟

- لا أذكرُ، فربّما
غيّرتُ اسْمي بَعدَما نَاديْتَ بِهِ،
وَرُبّمَا أهْدَيْتُهُ لِلحَدَائِقِ كي
يزدهرَ
الحُسنُ أكثر، إني فعلاً
لا أذكرُ.

قَالَ:
ضَعْ كَلامَكَ على
محكِّ
الوُضوح، وإلا
ذَبَحتُكَ خفيةً،
فدمُكَ وإنْ سَالَ لَنْ
يُرى، ما دامَ
الليلُ داهمُ على ظلامِه
من
بابِ الغياب !.

قلتُ:
أنا رَفضي وَفوضَايَ \
سَيّدُ الرّأي \أنا
أُفقي، أراهُ يَشقُّ الطّريقَ
اليَّ \
شَمْعَةً، أشعلَها الليلُ كي يحنَّ
الشراعُ الى المرسى القديم .

سألني :
كَيفَ عُدتَ على قدمَيْن
من خَطرٍ حذّرَكَ منّي طَويلاً،
ألَمْ تخَفْ وأنتَ قادمٌ نحوَ
الموت حياً؟؟

قلتُ :
جئتُ لأنَّ دُوني لَنْ تكونَ،
ولَنْ يُجدي كلامُكَ، ما دامَ الفراغُ
يُملي عليه الكلامْ.
إنّي خلودٌ، إن لم أكن
وإن كنتُ فأنا أنا، لا سواي
أمّا أنتَ
فلَسْتَ سوى فكرة جاءتني من

باب السراب، أنا سنبلةٌ
نمَت ليرتاحَ الحَصادُ مِنَ
الانتظار،
أو ليَرسُمَ السّحابُ شكلَهُ
في حقلٍ قَد تفرّغَ مِنْ جَديدْ،
«دارٌ وَسُنبلةٌ» أيها البِدائيُّ :
حلُمي،
والشرُودُ عاصفةٌ تَمُرُّ
وما تمرُّ بالحزَانى إنْ تحبّلنَ
بالأفراح،
أظنُّ أمّي منهُنَّ، فهيَ التي
ولَدَتني معَ الكبرياء كي أوَاخيه
وآخذَ منه الرُجولة حتى
يكتَمِلَ البُلوغ،
هيَ مَنْ علّمتني التقدّمَ
الى حيثُ لا خلفَ للخلفِ \إلى
جنّةٍ في مُتناولِ الصلَواتْ،
هكذا تُصبحُ مُثلي إن تغيّرتَ، فهل
تأتي معي الى الفجرِ قبلَ
طلوعِ الندى، أم أنكَ
تنتظرُ النهار!؟

* شاعر من فلسطين

معرض جديد لحسن سليمان وآخر لمنير كنعان ونشاط واسع في ساقية الصاوي

القاهرة ـ «القدس العربي»:

في إطار الفعاليات التشكيلية في مصر دعت الدكتورة هدى وصفي مدير مركز الهناجر للفنانين لافتتاح معرض التشكيلي الكبير حسن سليمان اعتبارا من الأول من آذار (مارس) والذي يستمر حتى الرابع عشر من الشهر نفسه، وتشرف على العرض المصممة نهال وهبي. أما قاعة أتيليه القاهرة فتستقبل معرضا لرسوم الأطفال للفنان علاء لطفي، بإشراف استوديو «بلوبير» لرسوم الأطفال، وهو عبارة عن قصص مصورة للأطفال تحت عنوان «ديبو وميتو» وينطلق المعرض في السادس والعشرين من شباط (فبراير) الجاري ويستمر حتى الثالث عشر من آذار (مارس) القادم.

أما القاعتان الشرقية والغربية بمكتبة الإسكندرية فتستقبلان في الأول من آذار (مارس) القادم وحتى الحادي والثلاثين من الشهر نفسه معرض الفنان الراحل منير كنعان وهو معرض شامل يتتبع جميع مراحل تطور تجربة كنعان حتى رحيله.

أما المركز الثقافي «ساقية الصاوي» فيستقبل عدة معارض مختلفة منها معرض الفنانة عصمت حسن «تصوير زيتي» بقاعة الأرض ويستمر حتى الثامن والعشرين من شباط (فبراير) الجاري.

أما قاعة النهر فتستقبل معرضين أولهما امتداد لمعرض معهد غوته والثاني هو افتتاح الملتقى الثالث للخدمات الثقافية بمشاركة المؤسسات والهيئات والمراكز الحكومية والأهلية والأجنبية تصاحبه ندوات وحفلات مجانية. أما قاعة معرض الحديقة فتستقبل معرض حلمي من أعمال أربع فنانات، وقاعة الظل تستقبل معرض الصور الفوتوغرافية المنعقد تحت عنوان «المسلمون في بريطانيا» للفنان البريطاني «بيتر ساندرز» في إطار مهرجان «نظرة» التي تنظمه السفارة البريطانية بالقاهرة.